

من معالم شخصية زينب الحوراء عليها السلام



السيدة زينب حفيدة الرسول (صلى الله عليه وآله)، هي أول سيّدة في دنيا الإسلام صنعت التاريخ، وأقامت صروح الحق والعدل، ونسفت قلاع الظلم والجور، وسجّلت في مواقفها المشرّفة شرفاً للإسلام وعزاً للمسلمين على امتداد التاريخ.

لقد أقامت سيّدة النساء صروح النهضة الفكرية، ونشرت الوعي السياسى والدينى فى وقت تلبّدت فيه أفكار الجماهير، وتخدّرت وخفى عليها الواقع ؛ وذلك من جرّاء ما تنشره وسائل الحكم الأموى من أن الأمويّين أعلام الإسلام وحماة الدين وقادة المتّقين، فأفشلت مخطّطاتهم، وأبطلت وسائل إعلامهم، وأبرزت بصورة إيجابية واقعهم الملوّث بالجرائم والموبقات وانتهاك حقوق الإنسان، كما دلّلت على خيانتهم وعدم شرعيّة حكمهم، وأنّهم سرقوا الحكم من أهله، وتسلاّطوا على رقاب المسلمين بغير رضا ومشورة منهم.

لقد أعلنت ذلك كلّّه بخطبها الثورية الرائعة التى وضعت فيها النقاط على الحروف، وسلّطت الأضواء على جميع

مخطّطاتهم السياسيّة وجرّدتها من جميع المقوّمات الشرعيّة.

وتجسّدت في حفيده الرسول (صلّى الله عليه وآله) جميع الصفات الكريمة والنزعات الشريفة ؛ فكانت أروع مثليّ للشرف والعفاف والكرامة، ولكلّ ما تعتزّ به المرأة وتسمو به في ديننا الإسلام.

لقد ورثت العقيلة من جدّها الرسول (صلّى الله عليه وآله) ومن أبيها الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) جميع ما امتازوا به من المثل الكريمة، والذي كان من أبرزها الإيمان العميق بالله تعالى، فقد صارعتهما العقيلة في هذه الظاهرة.

وقد روى المؤرّخون عن إيمانها صوراً مذهلة، كان منها أنّها صلّت ليلة الحادي عشر من محرّم، وهي أقسى ليلة في تاريخ الإسلام، صلاة الشكر لله تعالى على هذه الكارثة الكبرى التي حلّت بهم، والتي فيها خدمة للإسلام ورفع لكلمة التوحيد.

وكان من عظيم إيمانها وإنايتها إلى الله تعالى أنّها في اليوم العاشر من المحرّم وقفت على جثمان أخيها، وقد مزّفته سيوف الكفر، ومثّلت به العصاة المجرمة، فقالت كلمتها الخالدة التي دارت مع الفلك وارتسمت فيه قائلة: «اللّهمّ تقبّل هذا القربان، وأثبه على عمله...».

تدول الدول وتفنّي الحصارات وهذا الإيمان أحقّ بالبقاء وأجدر بالخلود من هذا الكوكب الذي نعيش عليه.

قدراتها العلميّة

كانت حفيده الرسول (صلّى الله عليه وآله) في فجر الصبا آيةً في ذكائها وعبقرياتها ؛ فقد حفظت القرآن الكريم، كما حفظت أحاديث جدّها الرسول (صلّى الله عليه وآله) فيما يتعلّق بأحكام الدين وقواعد التربية وأصول الأخلاق، وقد حفظت الخطاب التاريخي الخالد الذي ألّقته أمّها سيّدة النساء فاطمة (عليها السّلام) في (الجامع النبوي) احتجاجاً على أبي بكر لتقمّمه للخلافة، ومصادرته له (فدك) التي أنحلها إيّاها أبوها رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

وقد روت خطبة أمّها التي ألّقتها على السيّدات من نساء المسلمين حينما عُدّنها في مرضها الذي توفّي فيه، كما روت عنها كوكبة من الأحاديث.

قد بهر الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) من شدّة ذكائها، فقد قالت له: أتحيّنا يا أبتاه؟ فأسرّع الإمام قائلاً: «وكيف لا أحيّكم وأنتم ثمرة فؤادي؟!».

فأجابته بأدب واحترام: يا أبتاه، إنّ الحبّ لله تعالى، والشفقة لنا (1).

وعجب الإمام (عليه السّلام) من فطنتها، فقد أجابته جواب العالم المنيب إلى الله تعالى.

وكان من فضلها واعتصامها بالله تعالى أنّها قالت: مَنْ أراد أن لا يكون الخلق شفعاؤه إلى الله فليحمده ؛ ألم

تسمع إلى قوله: سمع الله لمنّ حمده؟ فخفّ الله لقدرته عليك، واستحّ منه لقربه منك. (2)

وممّا يدلّ على مزيد فضلها أنّها كانت تنوب عن أخيها الإمام الحسين (عليه السّلام) في حال غيابه، فيرجع إليها المسلمون في المسائل الشرعيّة ؛ ونظراً لسعة معارفها كان الإمام زين العابدين (عليه السّلام) يروي عنها،

وكذلك كان يروى عنها عبد الله بن جعفر، والسيدة فاطمة بنت الإمام الحسين (عليه السلام). ولمّا كانت في الكوفة في أيام أبيها كان لها مجلس خاص تزدحم عليها السيدات، فكانت تلقى عليهنّ محاضرات في تفسير القرآن الكريم، كما كانت المرجع الأعلى للسيدات من نساء المسلمين، فكنّ يأخذنّ منها أحكام الدين وتعاليمه وآدابه.

ويكفى للتدليل على فضلها أنّ ابن عباس حبر الأمة كان يسألها عن بعض المسائل التي لا يهتدى لحلّها، كما روى عنها كوكبة من الأخبار، وكان يعتزّ بالرواية عنها، ويقول: حدّثتنا عقيلتنا زينب بنت علي. وقد روى عنها الخطاب التّاريخي الذي ألقته أمّها سيّدة النساء فاطمة (عليها السلام) في جامع أبيها (صلّى الله عليه وآله).

وقد نابت عن ابن أخيها الإمام زين العابدين (عليه السلام) في أيام مرضه، فكانت تجيب عمّا يرد عليه من المسائل الشرعيّة، وقد قال (عليه السلام) في حقّها «إنّها عالمة غير معلّمة». وكانت ألمع خطيبة في الإسلام؛ فقد هزّت العواطف، وقلبت الرأى العام وجنّدت له للثورة على الحكم الأموي، وذلك في خطبها التّاريخية الخالدة التي ألقتها في الكوفة ودمشق، وهي تدلّ على مدى ثرواتها الثقافية والأدبية. لقد نشأت حفيذة الرسول (صلّى الله عليه وآله) في بيت الوحي ومركز العلم والفضل، فنهلت من نعيم علوم جدّها وأبيها وأخويها، فكانت من أجلّ العالمات، ومن أكثرهنّ إحاطة بشؤون الشريعة وأحكام الدين.

عناصرها النفسيّة

وما من صفةٍ كريمةٍ أو نزعةٍ شريفةٍ يفتخر بها الإنسان، ويسمو بها على غيره من الكائنات الحيّة إلاّ وهي من عناصر عقيلة بنى هاشم. وسيدة النساء زينب (عليها السلام) قد تحلّت بجميع الفضائل التي وهبها الله تعالى لجدّها الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله)، وأبيها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأمّها سيّدة نساء العالمين (عليها السلام)، وأخويها الحسن والحسين (عليهما السلام) سيدي شباب أهل الجنّة وريحانتي رسول الله (صلّى الله عليه وآله)؛ فقد ورثت خصائصهم، وحكت مميّزاتهم، وشابهتهم في سموّ ذاتهم ومكارم أخلاقهم. لقد كانت حفيذة الرسول بحكم موارثها وخصائصها أعظم وأجلّ سيّدة في دنيا الإسلام؛ فقد أقامت صروح العدل، وشيّدت معالم الحق، وأبرزت قيم الإسلام ومبادئه على حقيقتها النازلة من ربّ العالمين، فقد جاهدت هي وأمّها زهراء الرسول كأعظم ما يكون الجهاد، ووقفنا بصلابة لا يُعرف لها مثيل أمام التيارات الحزبية التي حاولت بجميع ما تملك من وسائل القوة أن تلقى الستار على قادة الأمة وهداتها الواقعيين الذين أقامهم الرسول (صلّى الله عليه وآله) أعلاماً لأُمّته، وخزنة لحكمته وعلومه.

فقد أظهرت زهراء الرسول بقوة وصلابة عن حقّ سيد العترة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، رائد العدالة الاجتماعية في الإسلام، فناهضت حكومة أبي بكر في خطبها التّاريخية الخالدة، وسائر مواقفها المشرّفة التي وضعت فيها الأساس المشرق لمبادئ شيعة أهل البيت (عليهم السلام)؛ فهي المؤسّسة الأولى بعد أبيها (صلّى الله عليه وآله) لمذهب أهل البيت (عليهم السلام).

وكذلك وقفت ابنتها العقيلة أمام الحكم الأُموي الأسود الذي استهدف قلع الإسلام من جذوره ومحو سطورهِ، وإقصاء أهل البيت (عليهم السَّلام) عن واقعهم الاجتماعي والسياسي، وإبعادهم عن المجتمع الإسلامي ؛ فوفقت حفيدة الرسول (صلَّى الله عليه وآله) مع أخيها أبي الأحرار في خندق واحد، فحطَّم أخوها بشهادته، وهى بخطبها في أروقة بلاط الحكم الأُموي، ذلك الكابوس المظلم الذي كان جائئاً على رقاب المسلمين.

وعلى أى حال، فإنَّنا نعرض بصورة موجزة لبعض العناصر النفسيَّة لحفيدة الرسول (صلَّى الله عليه وآله)، وما تتمتَّع به من القابليات الفذة التى جعلتها فى طليعة نساء المسلمين، وفيما يلى ذلك:

الإيمان الوثيق

وتربَّت عقيلة بنى هاشم فى بيت الدعوة إلى الله تعالى، ذلك البيت الذى كان فيه مهبط الوحي والتنزيل، ومنه انطلقت كلمة التوحيد وامتدت أشعتها المشرقة على جميع شعوب العالم والأرض، وكان ذلك أهمَّ المعطيات لرسالة جدِّها العظيم.

لقد تغذَّت حفيدة الرسول (صلَّى الله عليه وآله) بجوهر الإيمان وواقع الإسلام، وانطبع حبُّ الله تعالى فى عواطفها ومشاعرها حتَّى صار ذلك من مقوِّماتِها وذاتياتها، وقد أحاطت بها المحن والخطوب منذ نعومة أظفارها، وتجسَّعت أقسى وأمرَّ ألوان المصائب، كلَّ ذلك من أجل رفع كلمة الله عالية خفاقة.

إنَّ الإيمان الوثيق بالله تعالى والانقطاع الكامل إليه كانا من ذاتيات الأسرة النبويَّة ومن أبرز خصائصهم. ألم يقل سيد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين (عليه السَّلام) فى دعائه: «ما عبدتك طمعاً فى جنَّتِكَ، ولا خوفاً من نارِكَ، ولكنَّى وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك؟» وهو القائل: «لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقيناً».

أمَّا سيِّد شباب أهل الجنَّة الإمام الحسين (عليه السَّلام)، فقد أخلصَّ تعالى كأعظم ما يكون الإخلاص، وذاب فى محبَّتِهِ، وقد قدِّم نفسه والكواكب المشرقة من أبنائه وإخوته وأبناء عمومته قرابين خالصة لوجه الله، وقد طافت به المصائب والأزمات التى يذوب من هولها الجبال، وامتنح بما لم يمتحن به أحدٌ من أنبياء الله وأوليائه، كلَّ ذلك فى سبيل الله تعالى.

فقد رأى أهل بيته وأصحابه الممجَّدين صرعى، ونظر إلى حرائر النبوة وعقائل الوحي وهنَّ بحالة تميد من هولها الجبال، وقد أحاطت به أرجاس البشرية وهم يوسعونه ضرباً بالسيوف وطعنات بالرماح ؛ لينقرَّبوا بقتله إلى سيِّدهم ابن مرجانة. لقد قال وهو بتلك الحالة كلمته الخالدة، قال: «لك العتبى يا ربَّ، إن كان يرضيك هذا فهذا إلى رضاك قليل».

ولمَّا ذُبح ولده الرضيع بين يديه قال: «هوَّى ما نزل بى أنَّه بعين الله» (3). أرايتم هذا الإيمان الذى لا حدود له؟ أرايتم هذا الانقطاع والتبتل إلى الله ؟

وكانت حفيدة الرسول زينب (سلام الله عليها) كأبيها وأخيها فى عظيم إيمانها وانقطاعها إلى الله ؛ فقد وقفت على جثمان شقيقها الذى مزَّفته سيوف الشرك وهو جثة هامة بلا رأس، فرمقت السماء بطرفها وقالت كلمتها الخالدة التى

دارت مع الفلك وارتسمت فيه: اللّهمّ تقبّل منّا هذا القربان(4).

إنّ الإنسانية تنحنى إجلالاً وخضوعاً أمام هذا الإيمان الذى هو السرّ فى خلودها وخلود أخيها. لقد تضرّعت بطلّة الإسلام بخشوع إلى الله تعالى أن يتقبّل ذلك القربان العظيم الذى هو ربحانة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فأى إيمان يُماثل هذا الإيمان؟ وأى تبتّل إلى الله تعالى يُضارع هذا التبتّل؟

لقد أظهرت حفيذة الرسول بهذه الكلمات الخالدة معانى الوراثة النبويّة، وأظهرت الواقع الإسلامى وأنارت السبيل أمام كلّ مصلح اجتماعى، وأنّ كلّ تضحية تُؤدّى للأُمّة يجب أن تكون خالصة لوجه الله غير مشفوعة بأى غرض من أغراض الدنيا.

ومن عظيم إيمانها الذى يبهّر العقول ويحيّر الألباب أنّها أدّت صلاة الشكر إلى الله تعالى ليلة الحادى عشر من المحرم على ما وفّق أخاها ووفّقها لخدمة الإسلام ورفع كلمة الله. لقد أدّت الشكر فى أقصى ليلة وأفجعها، والتى لم تمرّ مثلها على أىّ أحدٍ من بنى الإنسان.

لقد أحاطت بها المآسى التى تذوب من هولها الجبال؛ فالجنّ الزواكى من أبناء الرسول وأصحابهم أمامها لا مغسّلين ولا مكفّنين، وخيام العلويات قد أحرقها الطغاة اللئام، وسلبوا ما على بنات رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من حُلّى وما عندهنّ من أمتعة، وهنّ يعجنّ بالبكاء لا يعرفنّ ماذا يجرى عليهنّ من الأسر والذلّ، إلى غير ذلك من المآسى التى أحاطت بحفيذة الرسول (صلّى الله عليه وآله)، وهى تؤدّى صلاة الشكر إلى الله تعالى على هذه النعمة التى أضفاها عليها وعلى أخيها.

تدول الدول وتفنّى الحصارات وهذا الإيمان العلوى أحقّ بالبقاء، وأجدر بالخلود من هذا الكوكب الذى نعيش فيه.

الصبر

من النزعات الفدويّة التى تسلّحت بها مفخرة الإسلام وسيّدة النساء زينب (عليها السلام) هى الصبر على نوائب الدنيا وفجائع الأيام، فقد تواكبت عليها الكوارث منذ فجر الصبا، فرُزئت بجدّها الرسول (صلّى الله عليه وآله) الذى كان يحذب عليها، ويفيض عليها بحنانه وعطفه، وشاهدت الأحداث الرهيبة المروعة التى دهمت أباه وأُمّه بعد وفاة جدّها؛ فقد اُقصى أبوها عن مركزه الذى أقامه فيه النبى (صلّى الله عليه وآله)، وأجمع القوم على هضم أُمّه حتّى توفيت وهى فى روعة الشباب وغضارة العمر، وقد كوت هذه الخطوب قلب العقيلة إلا أنّها خلدت إلى الصبر.

وتوالى بعد ذلك عليها المصائب، فقد رأت شقيقها الإمام الحسن الزكى (عليه السلام) قد غدر به أهل الكوفة حتّى اضطر إلى الصلح مع معاوية الذى هو خصم أبيها وعدوّه الألدّ، ولم تمض سنين يسيرة حتّى اغتاله بالسّم، وشاهدته وهو يتقيأ دماً من شدّة السمّ حتّى لفظ أنفاسه الأخيرة.

وكان من أقصى ما تجرّعته من المحن والمصاعب يوم الطفّ؛ فقد رأت شقيقها الإمام الحسين (عليه السلام) قد

استسلم للموت لا ناصر له ولا معين، وشاهدت الكواكب المشرقة من شباب العلويّين صرعى قد حصدتهم سيوف

الأمويّين، وشاهدت الأطفال الرضّع يُذبّحون أمامها.

إنَّ أى واحدة من رزايا سيِّدة النساء زينب لو ابتُلَى بها أىَّ إنسان مهما تدرَّع بالصبر وقوَّة النفس لأوهنت قواه، واستسلم للضعف النفسى، وما تمكن على مقاومة الأحداث، ولكنها (سلام الله عليها) قد صمدت أمام ذلك البلاء العارم، وقاومت الأحداث بنفس آمنة مطمئنة راضية بقضاء الله تعالى، وصابرة على بلائه، فكانت من أبرز المعنيين بقوله تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * وَلِلَّهِ عِلَالِيَهُمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) (5). وقال تعالى: (إِنَّا إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (6)، وقال تعالى: (وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ الْكَافِئَاتِ أَجْرَهُنَّ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (7). لقد صبرت حفيدة الرسول (صلّى الله عليه وآله) وأظهرت التجلّد وقوَّة النفس أمام أعداء الله، وقاومتهم بصلابة وشموخ، فلم يشاهد فى جميع فترات التأريخ سيِّدة مثلها فى قوَّة عزيمتها وصمودها أمام الكوارث والخطوب. لقد قابلت العقيلة ما عانت من الكوارث المذهلة والخطوب السود بصبر يذهل كلّ كائن حي.

العزّة والكرامة

من أبرز الصفات النفسيّة الماثلة فى شخصية سيِّدة النساء زينب (عليها السلام) هى العزّة والكرامة ؛ فقد كانت من سيِّدات نساء الدنيا فى هذه الظاهرة الفدّية، فقد حُمِلت بعد مقتل أخيها من كربلاء إلى الكوفة سيّبة، ومعها بنات رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد نُهب جميع ما عليهنّ من حُلّى وما عندهنّ من أمتعة، وقد أضرّ الجوع بأطفال أهل البيت وعقائلم، فترفّعت العقيلة أن تطلب من أولئك الممسوخين - من شرطة ابن مرجانة - شيئاً من الطعام لهم.

ولمّا انتهى موكب السبايا إلى الكوفة، وعلمنّ النساء أنّ السبايا من أهل بيت النبوة، سارعنّ إلى تقديم الطعام إلى الأطفال الذين ذوت أجسامهم من الجوع، فانبثرت السيِّدة زينب مخاطبة نساء أهل الكوفة قائلة: الصدقة محرّمة علينا أهل البيت.

ولمّا سمع أطفال أهل البيت (عليهم السلام) من عمّتهم ذلك ألّقوا ما فى أيديهم وأفواههم من الطعام، وأخذ بعضهم يقول لبعض: إنّ عمّتنا تقول: الصدقة حرام علينا أهل البيت. أىّ تربية فدّة تربيّ عليها أطفال أهل البيت (عليهم السلام) ! إنّها تربية الأنبياء والصدّيقين التى تسمو بالإنسان فترفعه إلى مستوى رفيع يكون من أفضل خلق الله.

ولمّا سُدّرت سبايا أهل البيت (عليهم السلام) من الكوفة إلى الشام لم تطلب السيدة زينب طيلة الطريق أىّ شيء من الإسعافات إلى الأطفال والنساء مع شدّة الحاجة إليها ؛ فقد أنفت أن تطلب أىّ مساعدة من أولئك الجفاة الأذال الذين رافقوا الموكب.

لقد ورثت عقيلة بنى هاشم من جدّها وأبيها العزّة والكرامة، والشرف والإباء، فلم تخضع لأىّ أحدٍ مهما قست الأيام وتلبّدت الظروف، إنّها لم تخضع إلاّ إلى الله تعالى.

ولم يشاهد الناس في جميع مراحل التاريخ أشجع ولا أربط جأشاً ولا أقوى جناناً من الأسرة النبوية الكريمة ؛ فالإمام أمير المؤمنين (سلام الله عليه) عميد العترة الطاهرة كان من أشجع خلق الله، وهو القائل: «لو تضافرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها».

وقد خاض أعنف المعارك وأشدّها قسوة، فجنّد الأبطال وألحق بجيوش الشرك أفدح الخسائر، وقد قام الإسلام عبل الذراع مفتول الساعد بجهاد وجهوده، فهو معجزة الإسلام الكبرى، وكان ولده أبو الأحرار الإمام الحسين (عليه السلام) مضرب المثل في بسالته وشجاعته ؛ فقد حير الألباب وأذهل العقول بشجاعته وصلابته وقوّة بأسه. فقد وقف يوم العاشر من المحرم موقفاً لم يقفه أيّ أحد من أبطال العالم ؛ فإنّه لم ينهار أمام تلك النكبات المذهلة التي تعصف بالحلم والصبر، فكان يزداد انطلاقاً وبشراً كلما ازداد الموقف بلاءً ومحنةً. فإنّه بعدما صرّع أصحابه وأهل بيته زحف عليه الجيش بأسره – وكان عدده فيما يقول الرواة ثلاثين ألفاً – فحمل عليهم وحده، وقد طارت أفئدتهم من الخوف والرعب، فانهزموا أمامه كالمعزى إذا شدّ عليها الذئب – على حدّ تعبير بعض الرواة – وبقي صامداً كالجبل يتلقى الطعنات والسهام من كلّ جانب، لم يوهن له ركن ولم تضعف له عزيمة.

وتمثّلت هذه البطولة العلوية بجميع صورها وألوانها عند حفيدة الرسول وعقيلة بنى هاشم السيدة زينب (سلام الله عليها) ؛ فإنّها لمّا مثلت أمام الإرهابي المجرم سليل الأعداء ابن مرجانة احتقرته واستهانت به، فاندفع الأثيم يظهر الشماتة بلسانه الألكن قائلاً: الحمد لله الذي فضحك وقتلكم، وكذبّ اُحدثتكم.

فانبرت حفيدة الرسول بشجاعة وصلابة قائلة: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه، وطهّرنا من الرجز تطهيراً، إنّا يؤتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا يا ابن مرجانة.. (8)

لقد قالت هذا القول الصارم الذي هو أمض من السلاح، وهى والمخدّرات من آل محمّد في قيد الأسر، وقد رفعت فوق رؤوسهنّ رؤوس حماتهنّ، وشهت عليهنّ سيوف الملحين. لقد أنزلت العقيلة – بهذه الكلمات – الطاغية من عرشه إلى قبره، وعزّفته أمام خدمه وعبيده أنّه المفتضح والمنهزم، وأنّ أخاها هو المنتصر.

ولم يجد ابن مرجانة كلاماً يقوله سوى التشفّي بقتل عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قائلاً: كيف رأيت صنع الله بأخيكم (9)؟

وانطلقت عقيلة بنى هاشم ببسالة وصمود، فأجابت بكلمات الطفر والنصر لها ولأخيها قائلة: ما رأيت إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتُحاجّ وتُخاصم، فانظر لمنّ الفلج يومئذ، ثكلتك أمّك يا ابن مرجانة !

أرأيت هذا التبكيت الموجه؟ أرأيت هذه الشجاعة العلوية؟ فقد سجّلت حفيدة الرسول (صلى الله عليه وآله) بموقفها وكلماتها فخراً للإسلام وعزّاً للمسلمين، ومجداً خالداً للأسرة النبوية.

أمّا موقفها في بلاط يزيد، وموقفها مع الشامي وخطابها الثوري الخالد فقد هزّ العرش الأموي، وكشف الواقع الجاهلي ليزيد ومن مكّنه من رقاب المسلمين، وسنعرض لخطابها وسائر مواقفها المشرفة في البحوث الآتية.

الزهد فى الدنيا

ومن عناصر سيّدة النساء زينب (عليها السّلام) الزهد فى الدنيا ؛ فقد بذلت جميع زينتها ومباهجها مقتدية بأبيها الذى طلق الدنيا ثلاثاً لا رجعة له فيها ، ومقتدية بأُمّها سيّدة نساء العالمين، زهراء الرسول. فقد كانت - فيما رواه المؤرّخون - لا تملك فى دارها سوى حصير من سعف النخل، وجلد شاة، وكانت تلبس الكساء من صوف الإبل، وتطحن بيدها الشعير، إلى غير ذلك من صنوف الزهد والإعراض عن الدنيا. وقد تأثّرت عقيلة الرسول (صلّى الله عليه وآله) بهذه الروح الكريمة فزهدت فى جميع مظاهر الدنيا، وكان من زهدها أنّها ما ادّخرت شيئاً من يومها لغدها حسب ما رواه عنها الإمام زين العابدين (عليه السّلام) (10). وقد طلقت الدنيا وزهدت فيها وذلك بمصاحبتها لأخيها أبى الأحرار ؛ فقد علمت أنّها سيستشهد فى كربلاء، أخبرها بذلك أبوها، فصحبته وترك زوجها الذى كان يرفل بيته بالنعيم ومتع الحياة، رفضت ذلك كلّهُ وآثرت القيام مع أخيها لنصرة الإسلام والذبّ عن مبادئه وقيمه، وهى على علم بما تشاهده من مصرع أخيها، وما يجرى عليها بالذّات من الأسر والذلّ.

لقد قدّمت على ذلك خدمة لدين الله تعالى.

المصدر: السيدة زينب (ع) رائدة الجهاد فى الاسلام - تأليف: باقر شريف القرشى
الهوامش:

- (1) زينب الكبرى / 35.
- (2) أعيان الشيعة 7 / 140.
- (3) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام) 3 / 276.
- (4) المصدر السابق / 304.
- (5) سورة البقرة / 155 - 157.
- (6) سورة الزمر / 10.
- (7) سورة النحل / 96.
- (8) تاريخ الطبرى 6 / 263.
- (9) زينب الكبرى / 61.
- (10) صحيح الترمذى 2 / 319، وقريب منه رواه الحاكم فى مستدركه 3 / 149، وابن الأثير فى اُسْد الغابة 5 / 523، والخطيب فى تأريخ بغداد 7 / 36، وغيرهم

المصدر : موقع العتبة الرضوية المقدسة

